المجلة التاريخية الجزائرية
ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664
المجلد:07، العدد:01 (2023)، ص412-427

المقاومة الإفريقية ضد التواجد الاستعماري الألماني في شرق إفريقيا 1888-1898

African resistance against the German colonial presence in East Africa 1888-1898

عبد الرحمان بوسليماني
جامعة البليدة 02 (الجزائر)
abdou_bouslimani@yahoo.fr

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2023/02/28
تاريخ القبول:
2023/05/10

الكلمات المفتاحية:
- ✓ الاستعمار الألماني
- ✓ شرق إفريقيا
- ✓ المقاومة الإفريقية
- ✓ القبائل الإفريقية

الملخص:

كانت السنوات العشر الواقعة بين عام 1888 وعام 1898 تمثّل تناقضاً غريباً وقاسياً بالنسبة لشرق إفريقيا (المنطقة التي ستعرف فيما بعد باسم جمهورية تنزانيا، رواندا وبورندي). إذ اتّضح أن عملية الغزو والاحتلال الألمانية ماضية لا رجعة فيها، وكان من الواضح أيضًا أن بالإمكان مقاومتها من طرف القبائل الإفريقية. حيث لم تتوفر لدي الألمان القدرة الدبلوماسية والعسكرية على التلاعب بالأفارقة والسواحليين وبث الفرقة بينهم، إذ اكتفوا بأساليبهم الامبريالية القديمة. ولم تكن معرفتهم بتفاصيل الأوضاع الجيوسياسية في مستوى معرفة الحكام والزعماء الإفريقيين بها، فكانوا ينفّذون إستراتيجية الغزو والزحف والتقدم بشكل عشوائي وغير منسق، الشيء الذي جعلهم يصطدمون بالعديد من حركات المقاومة الإفريقية التي لم تكن متماثلة هي الأخرى، وكانت الاختلالات تظهر بحسب التماسك الاجتماعي والثقافي أو عدمه في كل قبيلة من القبائل الإفريقية.

Article info

Received:
28/02/2023
Accepted:
10/05/2023

Key words:
- ✓ German colonialism
- ✓ East Africa
- ✓ African Resistance
- ✓ African tribes

Abstract:

The ten years between 1888 and 1898 represented a strange and cruel contrast for East Africa (the region that would later be known as the Republic of : Tanzania, Rwanda and Burundi). It turns out that the German process of invasion and occupation is final decision. It was also clear that it could be resisted by the African tribes. Whatever, The Germans did not have the diplomatic and military capacity to manipulate the Africans and the Swahili and divide them, as they contented themselves with their old imperial methods. Their knowledge of the details of the geopolitical situation was not at the level of knowledge of the African rulers and leaders, so they were implementing the strategy of invasion, crawling, and advancing randomly and uncoordinated, The thing that made them collide with many African resistance movements which were not always the same, and imbalances appeared according to the social and cultural cohesion or lack thereof in each tribe of African tribes.

المقاومة الإفريقية ضد التواجد الاستعماري الألماني في شرق إفريقيا 1888-1898

مقدمة

تميزت المرحلة الأولى الممتدة ما بين عامي 1888 و1898 باستخدام الألمان للدبلوماسية والقوة معًا، فكانت تلك المرحلة هي مرحلة إبرام الاتفاقيات والغزو العسكري وإخضاع جميع المدن الساحلية والمناطق المحيطة بها وخصوصا الواقعة شمال شرق البلاد للسيطرة الاستعمارية. وكانت الفترة الممتدة ما بين عامي 1891 و1898 هي الفترة التي بلغ فيها الغزو العسكري والقمع الوحشي الألماني للمقاومة الإفريقية أوجّه. فلم يحدث من قبل على مرّ التاريخ أن شهدت شرق إفريقيا-باستثناء الحملة العسكرية أثناء الحرب العالمية الأولى 1914-1918 فيما بعد- مثل هذا النشاط العسكري ضد قبائل الجنوب الشرقي التي رفضت السيطرة الألمانية على أراضيهم.

ومن المهم عند مناقشة ردود الفعل الإفريقية تجاه الغزو الألماني لشرق إفريقيا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، أن نفهم البيئة الثقافية والسوسيو-اقتصادية العامة التي حدثت فيها ردود الفعل هذه. ومن بين متغيّرات تلك الأوضاع طبيعة الجماعة المنظمة للمقاومة، ما إذا كانت تخضع لجماعة مركزية أو لا، وما إذا كانت في طور الاستقرار أو الخضوع لقوة افريقية إقليمية أخرى، وطبيعة الزعامة فيها، وأخيرا التركيبة الثقافية والسوسيولوجية لهذه الجماعة.

وتبيّن هذه الدراسة وتحلّل كيف تدخلت ألمانيا في شرق إفريقيا في النواحي الإستراتيجية والاقتصادية والجيوسياسية رغبة منها في تكّوين مستعمرة لها تكون موطنا للفائض من السكان الألمان، ومصدرا للمواد الأولية الخام اللازمة لدعم الصناعة الألمانية، وردود الفعل الإفريقية تجاه الغزو العسكري. وعليه نطرح الأسئلة التالية:

- كيف أقيم النظام الاستعماري الألماني في شرق إفريقيا، وما هي الميكانيزمات التي اتخذت لتثبيته؟

- كيف كان وضع مجتمعات المنطقة من حيث الاستعداد لمواجهة هذا الغزو؟ وكيف واجهته، وبأي قدر من النجاح؟

وعلى أي حال، كان سكان شرق إفريقيا جميعًا، دون استثناء تقريبا، يتوخون نفس الهدف، وهو الدفاع عن سيادتهم وتجارتهم وأسلوبهم الخاص بهم في الحياة، وان اختلفت الاستراتيجيات التي اتّبعوها لتحقيق ذلك الهدف. ومن هذا المنطلق، سنحلل تحليلا دقيقا حركة الغزو الألماني لشرق إفريقيا والمقاومة الإفريقية التي واجهت هذا الغزو في الفترة ما بين عامي 1888 و1898.

1. الغزو الألماني لشرق إفريقيا

تمكنت ألمانيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر من السيطرة على الجزء الأكبر من منطقة شرق إفريقيا، تلك المنطقة التي تمتد من مصب نهر أومبا Umba على المحيط الهندي شمالا إلى نهر روفوما Rovuma جنوبا (التعليق رقم 1)، ومن سواحل المحيط الهندي شرقا إلى منطقة البحيرات الكبرى غربا. ولم يكن هذا العمل صعبا عليها سواء في شرق القارة أو في غربها وجنوبها، لأنه في الواقع لم يكن لشعوب تلك

المنطقة في ذلك الوقت القوة اللازمة لمقاومة الضغط العسكري والاقتصادي الهائل للرايخ الألماني. وكان الخطر الوحيد الذي هدد الألمان هو تنافس وصراع الدول الأوروبية الامبريالية فيما بينها، وخاصة بريطانيا التي كانت مصمّمة على التوسع الاستعماري في المنطقة أيضا، ذلك التنافس الذي أخذ مجراه بقوة في أوائل الثمانينات من القرن التاسع عشر، وكاد أن يتحول في الكثير من الأحيان إلى اصطدامات ثنائية وحروب إقليمية ودولية.

وعليه، أصبحت منطقة شرق إفريقيا محل تنافس استعماري بين قوتين إمبرياليتين هما ألمانيا وبريطانيا، وإن كان أول من ظهر على الساحة هم العرب الذين اتَّخذوا من جزيرة زنجبار قاعدة لعملياتهم، وكانت مصالحهم، سواء في المنطقة الساحلية، أو في الداخل، تجارية إلى حد بعيد، إذ كانت تدور حول تجارة الرقيق والعاج (بوليم، 1974، ص ص92-93). ولكن خلال العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر أخذت المصالح العربية في المنطقة تتعرض للتهديد من جانب المصالح الألمانية والبريطانية التي كانت تتغلغل بثبات في المنطقة.

وكان الأوروبيون في منطقة شرق إفريقيا يضمون تجاراً ومبشرون ومستكشفون يسعون جميعاً إلى أن تحتل بلدانهم منطقة شرق إفريقيا، حتى توفر لهم الأمان وتطلق يدهم في القيام بمشروعاتهم دونما عائق. وفي هذه الأثناء تبنى مستشار الرايخ الألماني فون أوتو بسمارك Von Otto Bismarck فكرة عقد مؤتمر دولي لتسوية المنازعات الناجمة عن أوجه النشاط الاستعماري الأوروبي في إفريقيا، فعقد المؤتمر في برلين في الفترة ما بين 5 نوفمبر 1884م و26 فيفري 1885م، وقد أدت أنباء عقد هذا المؤتمر إلى تزايد حدة التنافس الاستعماري الأوروبي على تقسيم إفريقيا وغزوها(Brunschwig,1971, p60-61) .

وفي هذا السياق، دخلت القوتان الإمبرياليتان ألمانيا وبريطانيا في تنافس شديد على شرق إفريقيا، وانتهى هذا التنافس بعقد المعاهدة الأنجلو-ألمانية لعام 1886م، ووضعت هذه المعاهدة جزيرة زنجبار والأراضي التابعة لها في ساحل إفريقيا الشرقي داخل منطقة النفوذ البريطانية، ولكنها من ناحية أخرى ضمنت نفوذ ألمانيا السياسي في البر الرئيسي لشرق إفريقيا من خلال توفير الاعتراف الرسمي بكسر الاحتكار البريطاني في المنطقة. وقد قَسَّمت بذلك المعاهدة أملاك سلطان زنجبار تقسيماً فعلياً، ثم تعهدت بريطانيا بمقتضى نصوص الاتفاق الإيضاحي التالي الذي وقع عام 1887م بأن (تعمل على عدم ضم أراض لبريطانيا خلف منطقة النفوذ الألمانية، مع كونه مفهوماً أن الحكومة الألمانية ستعمل بالمثل على عدم ضم أراض لألمانيا خلف منطقة النفوذ البريطانية). كما اتفقت الدولتان، على أنه إذا ما احتلت أي من الدولتين الساحل فإنه (لا يجوز للدولة الأخرى أن تحتل، دون موافقة إحداهما، أية مناطق داخلية واقعة خلف ذلك الساحل ولا يدّعي أحد ملكيتها) (Seaton,1973, pp59-60). ولقد أدى غموض هذه المعاهدة فيما يتعلق بالأراضي المحيطة بمنطقة البحيرات الكبرى والواقعة غرب منطقة نفوذ كل من الدولتين إلى إبرام معاهدة زنجبار-هليغولاند Heligoland عام 1890م، التي أتمت التقسيم الشامل لشرق إفريقيا.

استطاعت الدبلوماسية البريطانية في هذه المعاهدة أن تفتك كل من منطقة ويتو والساحل الواقع شمال نهر تانا، لكن الأهم هو أوغندا التي أصبحت حكرا على بريطانيا، وبالتالي السيطرة على مصب نهر النيل وحصولها على ممر يصل من المنطقة الاستوائية بوسط إفريقيا إلى القاهرة. بالإضافة إلى أنها أنهت استقلال سلطان زنجبار وضمت كل ما تبقى من ممتلكاته إلى محمياتها في شرق إفريقيا.

وبخصوص ألمانيا، فبالرغم من أن هذه المعاهدة قضت على حلم بريطانيا الكبير بشق طريق من الكاب (رأس الرجاء الصالح) إلى القاهرة (التعليق رقم 2)، إلا أنه وجهت لها انتقادات كثيرة، باعتبار أنها وقفت حائلا دون التوسع الألماني في شرق إفريقيا والمنطقة الاستوائية، ومنحت بريطانيا كل ما تريد.

وقد اعتبر الدكتور كارل بيترز Carl Peters رئيس شركة شرق إفريقيا الألمانية-Deutsch Ostafrikanische Gesellschaft ومؤسس مستعمرة شرق إفريقيا الألمانية، بأن كل الجهود التي قامت بها شركته من قبل لضم مناطق جديدة في شرق إفريقيا إلى المحمية الألمانية قد انتهت في هذه المعاهدة. وكان من رأيه عدم ترك سلطنة زنجبار لبريطانيا، وكان من الأفضل التمسك بمعاهدة عام 1886 لتعيين الحدود. كما أضاف يقول، بأن ألمانيا ضيّعت منطقة ويتو وأوغندا المهمّتين من الناحية الإستراتيجية والاقتصادية، في سبيل الحصول على حوض استحمام في بحر الشمال (التعليق رقم 3).

وبالموازاة مع هذا، لم تستقر حدود مستعمرة شرق إفريقيا الألمانية الغربية مع الكونغو البلجيكي إلى غاية عام 1910. حيث لم يعترف الملك ليبولد الثاني بالحدود الطبيعية الفاصلة بين المنطقتين والتي تتبع نهر روزيزي Ruzizi وبحيرة كيفو Kivu، وطالب أن تكون الحدود وفق الخط المنحني المرسوم عبر منطقة الكونغو الحرة المحايدة طبقا لقرارات مؤتمر برلين(DEUTSCHES,1916 p179).

وباختصار، كانت للملك البلجيكي أطماع بالحصول على أراضي جديدة تشمل منطقتي رواندا وأورندي (بورندي الآن) الواقعتين شمالي بحيرة تنجانيقا، ولكن مع اعتراف بريطانيا وفق هذه الاتفاقية بامتداد حدود المستعمرة الألمانية غربا حتى الحدود الطبيعية الفاصلة بين المنطقتين، الكونغو البلجيكي وشرق إفريقيا الألمانية،لم يستطع ليبولد الثاني الحصول عليها، ومن جانبها تمسكت ألمانيا بالحدود التي نصت عليها معاهدة زنجبار – هليغولاند عام 1890.

وظلت مشكلة الحدود الغربية للمستعمرة الألمانية غير مستقرة إلى غاية ماي 1910، حيث وافقت حكومة بروكسل على الحدود الطبيعية التي أقرتها الاتفاقية الأنجلو-ألمانية لعام 1890. وعليه، تم رسم الحدود الفاصلة بين المستعمرتين، بحيث تمر في منتصف بحيرة تنجانيقا، ثم تتبع نهر روزيزي إلى غاية بحيرة كيفو، ومنها باتجاه الغرب إلى بحيرة فيكتوريا(DEUTSCHES,1916, p185) .

وعلى ضوء هذه المعاهدة، أعلنت بريطـانيا حمـايتها على جزيرة زنجبار وأنهت استقلالها يوم 04 نوفمبر 1890، كما أصبحت كل المنطقة الممّتدة من ساحل المحيط الهندي إلى غاية المنطقة الاستوائية المحيطة ببحيرة فيكتوريا تعرف بمحمية شرق إفريقيا البريطانية، التي قسمت لاحقـا إلى مستعمرة كينيا ومحمية

أوغندا. أما المناطق الواقعة بين نهر روفوما جنوباً ونهر أومبا شمالا (حدود المستعمرة البريطانية)، أصبحت تعرف بمستعمرة شرق إفريقيا الألمانية.

لقد أنهت هذه المعاهدة الدبلوماسية الصراع والتنافس الامبريالي الأنجلو-ألماني على شرق إفريقيا، وحددت منطقة نفوذ كل دولة. ولكنها من ناحية أخرى، شوهت النظام السياسي الوطني الذي كان قائما من قبل، لأنها رسمت حدود عشوائية، اخترقت مجموعات اثنيه ولغوية. فهي معاهدة غير قانونية في مفهوم القانون الدولي، لأنها لم تستشر سكان المنطقة الأصليين وتحافظ على حقوقهم القائمة.

ولكن على الرغم من أن دخول المنطقة والتنافس عليها قد تم بهذه السهولة النسبية بين أعظم قوتين استعماريتين آنذاك، فإن إقامة الإدارة الاستعمارية الألمانية واستغلال المنطقة لم يكونا بهذه السهولة وذلك من خلال المقاومات والثورات العنيفة التي قادها الأهالي الأفارقة، وهذا ما سنتطرق إليه بالتفصيل في العناصر التالية من هذه الدراسة.

2. مقاومات الساحل والشمال الشرقي 1888-1893

أصبحت كل شعوب شرق إفريقيا من الناحية العملية مع أواخر الربع الأخير من القرن التاسع عشر خاضعة للحكم الاستعماري الألماني، سواء بصورة كاملة أو جزئية، وأخـــذت تتعرض في كل مكان لمختلف أشكال الضغوط العسكرية والاقتصادية والسياسية والدينية. ولم يتخذ سكان المنطقة بجميع تركيباتهم الإثنية والعرقية والدينية-بطبيعة الحال- من هذه الأحداث موقف سلبي، بل انتهى معظمهم إلى الاعتقاد -مثل سكان الساحل وقبائل الواهيهي في منطقة الهضاب العليا- بأن الشركة الألمانية الامبريالية هي سبب كل هذه المتاعب. وقد ولّد النفور ورفض الحكم الأجنبي خلال هذه الفترة، اتجاهاً متزايداً نحو مقاومة الألمان، وإحساسا قويًا بالوحدة بين القادة والزعماء السواحيليين والإفريقيين معًا. وكانت ثورة أبوشيري بين عامي 1888-1889 ومقاومة الزعيم بوانا هيري في عام 1889 وثورة الزعيم ميلي عام 1893 ومقاومة الزعيم سيكي عام 1893، أمثلة لردود الفعل الإفريقية هذه التي كانت تستهدف جميعها تقويض النظام الاستعماري الألماني في المنطقة.

1.2. مقاومة أبوشيري بن سليم الحرثي (1888-1889)

كان أبوشيري(التعليق رقم 4) حفيدا لواحد من العرب الأوائل الذين أقاموا على الساحل، فولد ونشأ في ظلّ ثقافة متجانسة إلى حد كبير، كان أهمها القاسم الإفريقي المشترك واللغة السواحيلية التي سرعان ما تطوّرت لتصبح لغة التعامل في الساحل كله. وقد استطاع العرب ومعهم الهنود والشيرازيون، من أن يجعلوا من ساحل شرق إفريقيا أكبر مركز تجاري على الشاطئ الغربي للمحيط الهندي خلال القرن التاسع عشر، بحيث أصبحت المنطقة أهم سوق للعاج والرقيق والمنتجات الزراعية كالقرنفل وقصب السكر، وهذا من خلال الشبكات التجارية التي أقاموها مع شعوب الداخل. وكان أكثر البضائع ربحًا بالنسبة إليهم هو العاج والرقيق، لتزايد الطلب عليهما فيما وراء البحار، وفي الداخل أيضًا، للعمل في مزارع القرنفل وقصب السكر. ولكن مع مجيء الألمان وبسط سيادتهم على المنطقة، هددوا هذه التجارة، لأنهم كانوا يريدون أن يحلوا مكانها تجارتهم.

وكانت الأسباب المباشرة لاندلاع المقاومة الوطنية التي قادها سكان الساحل بزعامة أبوشيري، هو إقدام شركة شرق إفريقيا الألمانية DOAG، بعد حصولها على عقد امتياز إدارة الساحل لمدة خمسين سنة من سلطان زنجبار وفق اتفاقية عام 1888، بمصادرة المعاملات التجارية لسكان الساحل واستيلائها على إدارة الجمارك في الموانئ الرئيسية الواقعة على ساحل المحيط الهندي، بالإضافة إلى استفادتها من حق فرض الضرائب على الأهالي، وجمعها. أما أهمّ عمل استفزازي قام به موظفي الشركة الألمانية، وتسبب في غضب سكان الساحل وثورتهم عليها، هو إنزالها لراية سلطنة زنجبار فوق جميع المباني والموانئ الحكومية واستبدالها بعلم الشركة(Arning,1942, pp11-12) .

ويضاف إلى ذلك، أن شركة كارل بيترز بعد توليها إدارة المنطقة قامت بعزل الكثير من الموظفين والإداريين العرب والسواحيليين واستبدالهم بموظفين أوروبيين. وكانت الشركة منذ وصولها للمنطقة تعمل على إخضاع سكان الساحل لسلطتها الإدارية والسياسية وتجريدهم من ممتلكاتهم وأراضيهم، والسيطرة على الموارد المعدنية والزراعية للبلاد كلها.

وبالرغم من افتقار سكان الساحل داخليًا إلى وحدة سياسية مركزية وقوة عسكرية منظمة، ولا يرتبطون بأحلاف عسكرية ودبلوماسية مع جيرانهم في داخل القارة، إلا أنهم تمكّنوا في أوائل شهر سبتمبر 1888 من مهاجمة مراكز الشركة الرئيسية في بنجاني وباجامويو ولندي ومكنداني. واستمرت الثورة في المدن الشمالية المجاورة، حيث حاصر الثوار موظفي الشركة وأحرقوا مقراتها. وفي تانجا أطلقوا النار على سفينة ألمانية، وأعطوا مهلة يومان لموظفي الشركة للجلاء عن الساحل. تواصلت أعمال العنف في المدن الواقعة جنوب باجامويو، فهاجموا مدينة كيلوا وقتلوا جميع الألمان المتواجدين فيها، بالإضافة إلى بعض المبشّرين من أتباع الكنيسة اللوثرية والكاثوليك التابعين للإرساليات التبشيرية الأوروبية. وقد سارعت الشركة لتعبئة كل ما لديها في قوة إغاثة، بعد أن تكبّدت خسائر كبيرة، وفقدانها لمعظم موظفيها، حيث تم قتل وأسر الكثير منهم .(Iliffe,1979, pp93-97)

وتزامن وصول وفد من سلطان زنجبار السيد خليفة، بقيادة الضابط الانجليزي ماثيو Mathews لمحاولة التوسط بين الثوار والشركة الألمانية والوصول إلى مفاوضات تنهي الفوضى التي عمّت مدن الساحل، مع عمليات هجومية جديدة اندلعت في محيط مدينة دار السلام، ووصلت في فترة قصيرة حتى ميناءها البحري، ولولا تدخل السفن الحربية الألمانية القليلة التي كانت موجودة بالقرب من الميناء، لاستطاع الثوار السيطرة على أهم قاعدة تجارية وإستراتيجية للشركة في شرق إفريقيا (Hamilton, 1957, pp193-195)

وجدير بالذكر أن ثورة أبوشيري، كانت في جوهرها حرب عصابات، لذا فقد اعتمدت على إستراتيجية المفاجئة، وتدمير قواعد ومراكز العدو، وقطع طرق الإمدادات والسيطرة عليها.

استمرت ثورة الساحل من سبتمبر 1888 إلى مارس 1889، حتى أصبحت باهظة التكاليف بالنسبة للشركة الألمانية DOAG التي أعلنت ضعفها أمام هجمات الثوار. وعليه، اضطرت إلى طلب المساعدة من

الحكومة الألمانية التي وافقت على طلبها، مقابل أن تتنازل عن حقوقها الإدارية في المستعمرة لصالح الحكومة. وقرر المستشار بسمارك فرض حصار بحري على شواطئ شرق إفريقيا، وطلب مساعدة الحكومة البريطانية في تنفيذ هذا الحصار، حتى يحرم الثوار من الأسلحة ويقطع كل طرق الإمدادات التي كانت تأتيهم عن طريق البحر(Hamilton, 1957, pp193-195) .

وجدت الحكومة البريطانية الفرصة المناسبة لزيادة حضورها العسكري في مياه شرق إفريقيا، وأعلنت موافقتها على طلب بسمارك المشاركة في هذا الحصار، وتحرير مدن الساحل من تجار الرقيق العرب الذين كانت بريطانيا تطاردهم منذ مطلع خمسينات القرن التاسع عشر من جهة، ومن جهة أخرى تخوفها من توسع ألمانيا على حساب أراضي السلطان بعد قضائها على المقاومة الساحلية. وعلى هذا الأساس، أرسلت على الفور أسطولها البحري بقيادة الأدميرال فريمانتل Fremantle إلى ساحل شرق إفريقيا (Reusch, 1954, p306) .

وبالموازاة مع هذا، كان الأسطول الألماني قد وصل إلى زنجبار يوم 31 مارس 1889 تحت قيادة الجنرال هرمان فون فيسمان Hermann von Wissmann، وكانت قوته تضم 20 جندي من الدولة العثمانية و600 جندي من قبائل النوبة السودانية و350 عسكري إفريقي (Askari) من قبائل الزولو Zulu، جندها من مستعمرة شرق إفريقيا البرتغالية (الموزمبيق الآن) بمساعدة الانجليز والبرتغاليين، بالإضافة إلى 50 جندي من البحارة الصوماليين، مجهزين ب 12 مدفع ميدان وعدد من الأسلحة النارية السريعة، أحظرها معه من ألمانيا(Reusch, 1954, p307) .

وتجدر الإشارة، أن هذا الحصار شاركت فيه كل من ايطاليا بفرض حصارها على الساحل الشمالي للمحيط الهندي بالقرب من أراضي المحمية البريطانية، والبرتغال بفرض حصارها على الساحل الجنوبي في الحدود مع مستعمرة شرق إفريقيا البرتغالية، في حين اكتفت فرنسا بإرسال إحدى سفنها الحربية إلى ميناء زنجبار لتقديم الدعم اللوجيستي للأسطولين، الألماني والإنجليزي.

صمّم القائد الألماني الجديد فيسمان على تحقيق نصر عسكري شامل وعلى تدمير المقاومة السواحيلية، التي أطلقت عليها الصحافة الألمانية اسم (التمرّد العربي Arabische aufstand)، وكل من ساند أبوشيري تدميرًا تامًا، باستخدام الأساليب الوحشية والأرض المحروقة لمنع قيام ثورات مماثلة في المستقبل. وقد تمكن في شهر ماي من العام نفسه، وبمساعدة دوريات البحرية البريطانية، من مهاجمة حصن أبوشيري في مدينة باجامويو Bagamoyo، واستعادة موانئ السعدني وبنجاني، وتحرير كل المنطقة الواقعة بين باجامويو وتانجا. على حين فرّ أبوشيري مع مقاتليه نحو المناطق الداخلية(Oliver and Mathews, 1963, pp199-200)

صادر فيسمان كل الأراضي والماشية والمعاملات التجارية، ومنع السكان من ممارسة طقوسهم التقليدية وفرض عليهم الأحكام العسكرية الألمانية. وبحلول شهر سبتمبر 1889 تقدم فيسمان نحو الداخل، بعد حصوله

على معلومات تفيد بأن أبوشيري قد هاجم مقر الشركة الألمانية في مبوابواMpwapwa . لكن أبوشيري الذي تحالف مع قبيلتي الواهيهي Wahehe والمافيتي Mafiti الإفريقيتين، انتهز مع حلفائه فرصة تحرك فيسمان باتجاه مبوابوا، للقيام بهجوم على المدن الساحلية الشمالية في أكتوبر 1889، قتلوا خلاله عدد من الألمان والموالين لهم، وأسروا ألفا من موظفي الشركة وجنود البحرية الألمانية، ودمروا مزارع عديدة واستولوا على الماشية(Charles,1985, p76).

وعلى إثر ذلك، تمكن الضابط فرايهر فون جرافنراوته Freiherr Von Gravenreuth، قائد الأسطول البحري الألماني في باجامويو من إعادة تجميع القوات الألمانية الموجودة في المنطقة الشمالية، والهجوم على الثوار في منطقة يومبو Yombo. ونظرا لحداثة الأسلحة الألمانية السريعة وتحالف قبائل وزارامو Wasaramo الإفريقية مع الألمان، بسبب حقدهم على تجار الرقيق العرب، انهزم أبوشيري وفقد معظم مقاتليه وتشتت مقاومته. ففرّ مع ما تبقى من رجاله إلى سومبوجا Semboja في الداخل في محاولة منه الهروب إلى المستعمرة البريطانية في الشمال (Charles,1985, p78).

وتجدر الإشارة هنا، أن الضابط فيسمان كان قد عرض مبلغ 10 آلاف روبية شرق إفريقيا على كل من يقدم معلومات أو يساعد في القبض عليه. ولهذا، لما حاول أبوشيري التوجه إلى إقليم أوساجارا غُدر به وسُلّم للألمان الذين أعدموه في بنغاني Pangani يوم 15 سبتمبر 1889(Reusch, 1954, pp306-307)

وعلى الرغم من هذا المصير الذي لقيه أبوشيري، فقد خلّف تراثا من المقاومة العسكرية للحكم الاستعماري الامبريالي الألماني، ومن الولاءات التي تتجاوز الحدود الإثنية الضيّقة، ومن الوعي التاريخي والوطني الذي ورثته الأجيال اللاحقة عن المناضلين من أجل الحرية في كل أنحاء شرق إفريقيا.

2.2. مقاومة الزعيم بوانا هيري

قرّر بوانا هيري Bwana Heri زعيم قبيلة أوزيغوا Uzigua اللجوء إلى إستراتيجية المواجهة مستخدما طرق المقاومة المسلحة أول الأمر، ثم الطرق الدبلوماسية بعد ذلك. ووفقا لهذه الإستراتيجية استمرّ بوانا هيري في جمع الضرائب من القوافل التجارية، وخاصة قوافل الرقيق، أثناء ذهابها وإيابها على طريق الكيلمنجارو-مدينة السعدني على الساحل، وقام بتحصين مدينة مليمبول Mlembule بالقرب من إقليم أوساجارا، في محاولة منه لجعلها قاعدة مركزية لحكمه وتوحيد القبائل الإفريقية المجاورة له، لمواجهة الحكم الاستعماري الألماني. ولكن بعد عودة القائد العام فيسمان إلى السعدني على الساحل، قدم له الملازم رشوز شميت Rochus Schmidt تقارير تفيد بأن بوانا هيري يخطط للانفصال بمنطقة أوزيغوا من خلال تحصينه لمركز مليمبول، كما أنه يحرض القبائل المجاورة على مقاتلة الألمان.

وعلى هذا الأساس، تقدم فيسمان مع جنوده من السعدني باتجاه قاعدة مليمبول في الداخل واحتلها، بعد أن قصف حصنها بالمدافع. وقُسمت بعد ذلك المنطقة ووضعت تحت إشراف رؤساء عينهم فيسمان، كنموذج تقليدي أوروبي لتدمير الأمم الإفريقية الذي تحققه سياسة فرق تسد. في حين فرّ بوانا هيري-بعد أن تشتت

مقاومته وفقد معظم مقاتليه- إلى الجهات الداخلية باتجاه منطقة طابورا.-(Kimambo, 1969, pp106-107)

والجدير بالذكر أن انتفاضة بوانا هيري تزامنت مع ثورة أبوشيري في الساحل، مما هدد بتصاعد وانتشار التمرّد في كل أنحاء شرق إفريقيا ضد الحكم الاستعماري الألماني. ولهذا، فقد كثفت السلطات الاستعمارية الألمانية جهودها العسكرية لمحاصرة بوانا هيري ومنعه من إعادة تجميع قواته، أو الاتصال بالقبائل الإفريقية الأخرى للتحالف معها. وحسب المصادر الألمانية، فإن بوانا هيري اتصل بالسلطان العربي محمد بن قاسم الذي كان حاكما على مدينة طابورا، فاستقبله وجمع له حوالي 600 مقاتل من طابورا وأوجيجي (Kimambo, 1969, pp106-107).

ولكن مع تفوق الألمان من ناحية الأسلحة والتجهيزات العسكرية الحديثة والاتصالات، حُوصر في منطقة بالاماكا Palamakaa، وهُزم في هذا الحصار وتم احتواء مقاومته نهائيا، واضطر إلى تسليم نفسه في أوائل شهر أفريل 1890. ونظرا للمكانة التي كان يحظى بها بين قبائل أوزيغوا والقبائل الإفريقية الموالية لهم من جهة، ومن جهة أخرى محاولة احتواءه والتحالف معه والاستفادة منه في المستقبل. فقد سُمح له بالعودة إلى اوزيغوا، مقابل عدم اشتراكه في أي نشاط ثوري في المستقبل (Anlagen, 1890-1892, p 135).

وبعد إخماد ثورة قبائل أوزيغوا التي قادها بوانا هيري، يكون الألمان قد تمكنوا من السيطرة على واد بنغاني وجبال أوزمبرا، وإقامة مستعمرات استيطانية دائمة لهم في هذه المناطق. أما المناطق الساحلية فقد تم تطهيرها والسيطرة عليها كليًا بعد قصف البحرية الألمانية لمدينة كيلوا الساحلية من البحر، بينما حاصرها فيسمان من البر، حيث اضطر الكثير من الثوار الاستسلام للقوات الألمانية التي دخلت المدينة في ماي عام 1890، وأعلنت سقوطها وتحريرها نهائيا من الثوار. وفي نفس الوقت، تمكن الألمان من إخضاع قبيلة غوغو Gogo ثم قبيلة الشاقا. وبالتالي استكمال إخضاع القبائل المتواجدة في الشمال ولاسّيما القبائل المتواجدة حول بحيرة فيكتوريا(Kimambo, 1969, pp107-108) .

3.2. مقاومة الزعيم ميلي

تواصلت المقاومة في إقليم موشي Moshi بالقرب من الكيلمنجارو بزعامة ميليMeli، الذي خلف والده الزعيم ماندواوا Mandawa في الحكم. وكانت شركة كارل بيترز قد ارتكبت أعمالا فضيعة في هذه المنطقة من قمع وحشي للمعتقدات والعادات التقليدية وسلب لملكية الأراضي، كما أجبروا السكان على الجلاء عن ديارهم كي يفسحوا المجال للمستوطنين البيض ووكلاء الشركة الاستعمارية للاستثمار فيها. خصوصا إذا ما علمنا أن منطقة الكيلمنجارو تعتبر من أفضل مناطق شرق إفريقيا لتوفرها على مناخ ملائم ونسبة تساقط عالية فضلا عن خصوبة تربتها العالية(Kimambo, 1969, p109) .

ولم يمضي وقت طويل حتى فرض الحاكم الجديد لمنطقة الكيلمنجارو فون بيلوف Von Bulow ضرائب جديدة لتغطية النفقات الإدارية، كما فرض السّخرة على السكان للخدمة في مزارع ومناجم الشركة

الألمانية. ولم تكن الإدارة الاستعمارية في المنطقة تطيق وجود عوائق في وجه مشروعاتها الاقتصادية. وقد ساهمت كل هذه الإجراءات التي فرضها الحاكم الجديد في تأجيج الوضع وانتفاضة سكان المنطقة الذين نظموا مقاومتهم تحت زعامة ميلي(Moffett, 1958, pp 64-65).

وكانت أول إصابة هي قتل جندي ألماني من طرف أتباع ميلي في حدود موشي-كيروا Moshi-Kirua في أواخر شهر أفريل 1893. فاستغل فون بيلوف هذه الحادثة وشن هجوما على حصن ميلي، حيث انتهى هذا الهجوم بمقتل الحاكم فون بيلوف والملازم فولفورم Lt. wolfrum وأكثر من عشرين مقاتل إفريقي (عسكري askari). وقد سارعت السلطات العليا الألمانية بإرسال حملة عسكرية بقيادة الملازم فون شيلي von schele الذي وصل إلى المنطقة في أوت 1893، وتمكن من تدمير حصن ميلي، وإبادة مقاتليه وفرض الحكم العسكري على المنطقة (Moffett, 1958, p65).

4.2. ثورة الزعيم سيكي Siki

خلال الفترة الممتدة بين عامي 1885 و1890، كان سيكي Chief Siki، شأن ميلي زعيم موشي، يستخدم بنجاح إستراتيجية دبلوماسية لحماية المصالح الحيوية لقبائل النياموزي Nyamwezi. فقد أبلغ الألمان منذ إخضاعهم شرق إفريقيا عام 1885 لسيطرتهم الاستعمارية، بأنه غير راغب في فتح بلاده لهم للتعدين والزراعة، وسعى في هذا الإطار إلى التحالف مع عرب طابورا لكي يتصدى لهم، ويمنع بذلك التوسع الاستعماري لشركة كارل بيترز التي كانت تريد الاستثمار في المنطقة (Moffett, 1958, pp68-69).

وظلّت هذه الأشكال من المقاومة فعّالة حتى عام 1890، حين تمكن أمين باشا (التعليق رقم5) رئيس البعثة الألمانية، من الوصول إلى طابورا وتوقيع اتفاقية حماية مع زعمائها، وتعيين أحد التجار العرب واليا عليها كممثل للإدارة الاستعمارية الألمانية، وتم في هذا السياق، تأسيس مركز عسكري ورفع علم الشركة الألمانيةDOAG. ومن طابورا أرسل أمين باشا إنذارا إلى سيكي يحذره فيه من الاستمرار في غلق أراضيه أمام الشركة، وتسليم مدفعين، كان سيكي قد صادرهما من التاجر والمستكشف الألماني جيزيك Giesecke عام 1886 بعد مقتله في طابورا (Kimambo, 1969, p111). وتجدر الإشارة هنا، أن طابورا قد تحولت في أوائل القرن التاسع عشر إلى أهم مركز للنشاط التجاري في وسط البلاد، وهذا بفضل تشجيع السيد سعيد للتجار العرب الذين تغلغلوا بالمنطقة، ونشطوا تجارة المسافات الطويلة مع عشائر النياموزي، كما أسسوا لاحقا مدينة أوجيجي Ujiji على شواطئ بحيرة تنجانيقا مستفيدين من النظام السياسي لقبيلة الها Ha.

وقد علم سيكي وبعض التجار العرب المتحالفين معه، وخصوصا تجار الرقيق، بالسياسة الامبريالية الألمانية في المنطقة التي تستهدف بالدرجة الأولى مصادرة كل أنشطتهم الاقتصادية، فتملكهم الخوف والاضطراب حين أدركوا المعنى الكامل لهذا التحرك الألماني، وعواقبه. ولهذا، عارض سيكي السياسة الاستعمارية الألمانية، ونشر إخطارا باستقلال أراضيه (Iliffe,1979, p62). وحين وصلت هذه الأنباء للحاكم العسكري الألماني شفزينجر Schwesinger، أعلن شن حملة عسكرية لاجتياح أراضي قبائل النياموزي، وهذا

بمساعدة محاربي قبيلة مانيما Maniema المعادية لهم. لكن هذه الحملة فشلت في اختراق التحصينات التي أقامها سيكي، وأدت إلى ارتفاع معنوياته. وبمساعدة بعض التجار العرب والقبائل المجاورة، شن حرب عصابات على القوافل التجارية الموالية للألمان المتجهة إلى موانزا Mwanza وأوجيجي، كما شن هجوما ضد المستوطنين في طابورا، ونهب أملاكهم وأسلحتهم، وفرض حصارا على المنطقة. ومن هنا أصبحت المنطقة الغربية التي تشمل النياموزي وطابورا وأوجيجي على ضفاف بحيرة تنجانيقا الشرقية، موطنا للفوضى والعصيان كما وصفتها المصادر الألمانية (Anlagen, 1893-1894, pp329-330).

وعلى هذا الأساس، أرسلت السلطات العسكرية للمستعمرة النقيب توم فون برنس Tom Von Prince لإعادة القانون والنظام، وفك الحصار عن المنطقة، وإعادة تجارة القوافل إلى ما كانت عليه من قبل. وقد تمكن فون برنس، الذي كان مجهزا بأسلحة حديثة وعدد كبير من المحاربين في الفترة من 9 إلى 12 جانفي 1893 من اجتياح أراضي النياموزي، وتدمير حصن سيكي وفك الحصار عن طابورا (Anlagen, 1893-1894, p330).

أما الزعيم سيكي، فقد فضل الانتحار مع عائلته بإشعال النار في بيته، بدل الاستسلام للألمان. وسعيًا إلى إخضاع كل المنطقة للحكم الألماني، بما فيها قبائل النياموزي، أصدر فون برنس أوامر بفرض ضرائب إضافية على التجار العرب الذين ساندو وحرضوا سيكي، وبحل كل التشكيلات العسكرية لقبائل النياموزي، وقبول الحكم الألماني(Reusch, 1954, p316) .

وأخيرا نستنتج، أنه بالرغم من أن هذه الممالك والقبائل الصغيرة أخفقت في المقاومة وعجزت عن منع الإدارة الاستعمارية وشركاتها الامبريالية من الاستيطان ونهب خاماتهم المعدنية وثرواتهم الزراعية، إلا أنها تمكنت من البقاء، وحافظت على نسيجها الاجتماعي والاقتصادي. على حين أن القبائل الأكبر، المهيأة سياسيا وعسكريا للتصدي للاستعمار وشركاته الامبريالية، قد غُزيت وهزمت، وقضي عليها، ويتجلى هذا النمط بوضوح في حالة مقاومة قبائل الواهيهي.

3. مقاومة قبائل الواهيهي

تسكن قبائل الواهيهي Wahehe منطقة الهضاب العليا الجنوبية، الواقعة بين منطقة إفاكارا Ifakara وكيلوسا Kilosa شرقا، وبحيرتي تنجانقيا ونياسا غربا. وكان الذي يتولى العرش آنذاك الزعيم مكواوا Mkwawa، بعد أن ورث الحكم عن أبيه مونيغامبا Munygumba. وقد فرض الواهيهي سيطرتهم على المنطقة المحيطة بإقليم إرينغا **Iringa**بالغزو العسكري، وأنشأوا دولة مركزية موحدة عاصمتها كالينغا Kalenga. وكانوا قد استطاعوا توسيع رقعتهم الجغرافية على حساب قبائل المساي Masai في أوساجارا شمالا وقبائل النغوني Ngoni جنوبا، وإن ظلّوا يتعرّضون بين الحين والآخر لغارات النغوني (Kimambo, 1969, pp114-115).

وكانت سياستهم الخارجية تقوم على المصالح وعقد التحالفات، فقد أنشؤوا علاقات تجارية قوية مع مدن

الساحل، وتفوقوا في التجارة الإقليمية على التجار العرب. وكانت أنشطتهم التجارية بوجه عام، تقوم على نقل العاج وشمع العسل والرقيق إلى كيلوا مقابل حصولهم على البنادق والملابس وغيرها من السلع التجارية. وهكذا نظر مكواوا منذ البداية للألمان كحلفاء لأعدائه الإفريقيين، خصوصا قبائل أوساجارا، فرأى ضرورة توقيفهم ومنعهم من دخول أراضيه، لما في ذلك من تهديد لمصالح الواهيهي السياسية والاقتصادية (Kimambo, 1969, pp114-115).

فبادر بالهجوم على قبائل أوساجارا الموالية للألمان، والتي تسكن المنطقة الواقعة شمال أراضيه، ونهب ممتلكات البعثة التبشيرية التي كانت مستقرة بالمنطقة. كما هاجم القوافل التجارية وفرض عليها رسوم عبور أراضيه. ومع احتدام الصراع وتزايد خطر هجمات الواهيهي بسرعة بالغة، تخوف الألمان من إمكانية هجومهم على مدن الساحل، وبالتالي تهديد تواجدهم في منطقة شرق إفريقيا كلها. خصوصا إذا ما علمنا أن الألمان كانوا يعلمون بالقوة البشرية للواهيهي، وتنظيمهم العسكري الجيد، وبأنهم يشكلوا أقوى الأمم الإفريقية التي تقطن المنطقة الجنوبية من المستعمرة. أعطت هذه الأسباب الذريعة للألمان للقيام بهجوم عسكري ومعاقبة قبائل الواهيهي. ومع نهاية شهر جويلية 1891، تحرك القائد العام للقوات العسكرية الألمانية إميل فون زيليسكي Emile Von Zelewski من كيلوا باتجاه منطقة كولوقلو Kologelo الواقعة على واد روفيجي Rufiji. ولكن مع وصوله وجد المنطقة خالية بعد أن هجرها سكانها، ثم تقدم إلى مامبو Mambo، ولم يستطع اللحاق بمقاتلي الواهيهي الذين استمروا في الاختفاء والابتعاد عن الحملة الألمانية (Listowel, 1965, pp24-27).

وعلى أي حال، قام الألمان بحرق ونهب كل قرى الواهيهي التي مروا بها، في محاولة منهم لقطع الإمدادات وتدمير قواعدهم الخلفية. وفي 16 أوت 1891 عبر زيليسكي بقواته واد رواها Ruaha، ومع تجمع قواته وسط الغابة الكثيفة بالقرب من منطقة لوغالو Lugalo، تفاجؤوا بهجوم مقاتلي الواهيهي الذين قتلوا القائد زيليسكي و10 أوروبيين، بالإضافة إلى 360 جندي وحمّال، وتمكن البقية من الفرار والعودة إلى الساحل في ظروف جدّ صعبة(Deutsches ,1891, P435) .

وقد سارعت الحكومة الألمانية إلى تعيين جوليوس فريهر فون سودن Julius Freiherr Von Soden كقائد عام لقوات المستعمرة، يعاونه الضابط رودجر Ruedigar. واقترح هذا الأخير إعداد خطة عسكرية لمحاصرة مقاتلي الواهيهي، من خلال إنشاء عدد كبير من القواعد والمراكز العسكرية، بدل تجميع كل القوات في منطقة واحدة، كما فعل زيليسكي من قبل. يضاف إلى ذلك، أنه ستكون من مهام هذه المراكز العسكرية تأمين القوافل التجارية وحماية القبائل الموالية والمتحالفة مع الألمان من هجمات الواهيهي. وقد استطاعت هذه القواعد رد الكثير من هجمات الواهيهي، كما تمكن الضابط فون برنس Von Prince، انطلاقا من قاعدة توسماغونغا Tosamaganga بعدد ناجح من الحملات العسكرية على مقاتلي الواهيهي بالقرب من العاصمة كالينغا، وألحقت بهم أضرارا كبيرة (Anlagen, 1893-1894, pp330-332).

وعلى هذا الأساس، حاول مكواوا التحالف مع بعض القبائل المجاورة لتجنيد عدد أكبر من المقاتلين

ضد الألمان. لكن كل القبائل التي قصدها رفضت التحالف معه، بسبب العداء القديم الذي كان قائما بينهم (التعليق رقم6). وأمام هذا الفشل في استمالة القبائل، لجأ مكواوا إلى الدبلوماسية لتجنب الاصطدام بالألمان، وأرسل بعثة سلام إلى إدارة المستعمرة للدخول في مفاوضات صلح، لكن الألمان تجاهلوا هذه البعثة، وأعلنوا عزمهم عن مواصلة الحرب(Listowel, 1965, pp26-27) .

ومع حلول سنة 1893، تم تعيين العقيد فون شيلي Von Schele كحاكم عام للمستعمرة وقائد عام للقوات العسكرية. وقد عمل منذ وصوله إلى المستعمرة على إعادة الهيبة الألمانية وتحقيق نصر شامل وغير مشروط، وتدمير القوة العسكرية لقبائل الواهيهي. وكان يرى في إطالة أمد الحرب سيؤدي إلى تكاليف مالية كبيرة واستنزاف قواته العسكرية. ولهذا، قاد فون شيلي حملة عسكرية بنفسه، لتطهير المنطقة وإنهاء هذا الصراع الذي دام أربع سنوات (Listowel, 1965, pp25-27).

وضمت حملته خمس كتائب تحت إشراف 60 ضابطا، مسلحين بشكل جيـــد. وفي 23 أكتوبر 1894، تمكن من التوغل في تلال الهضبة الجنوبية، ومنها تقدم إلى إرينغا عاصمة الواهيهي. وقد وجد فون شيلي المدينة محصنة بشكل جيد بأسوار حجرية تمتد على مسافة ثمانية أميال. هاجم الألمان المدينة بالمدافع لحظة وصولهم، وتمكنوا في 30 أكتوبر من اجتياح المدينة وتدمير حصنها (الشكل 1)، واسر عدد كبير من مقاتلي الواهيهي ومصادرة كل أملاكهم. في حين فرّ مكواوا شمالا، ولجأ مع ما تبقى من مقاوميه إلى الانسحاب، ثم أعادوا تنظيم أنفسهم في إطار حرب العصابات (DEUTSCHES ,1891, PP131-134).

الشكل 1: مخطط لحصن مكواوا الذي دمره الألمان يوم 30 أكتوبر سنة 1896.

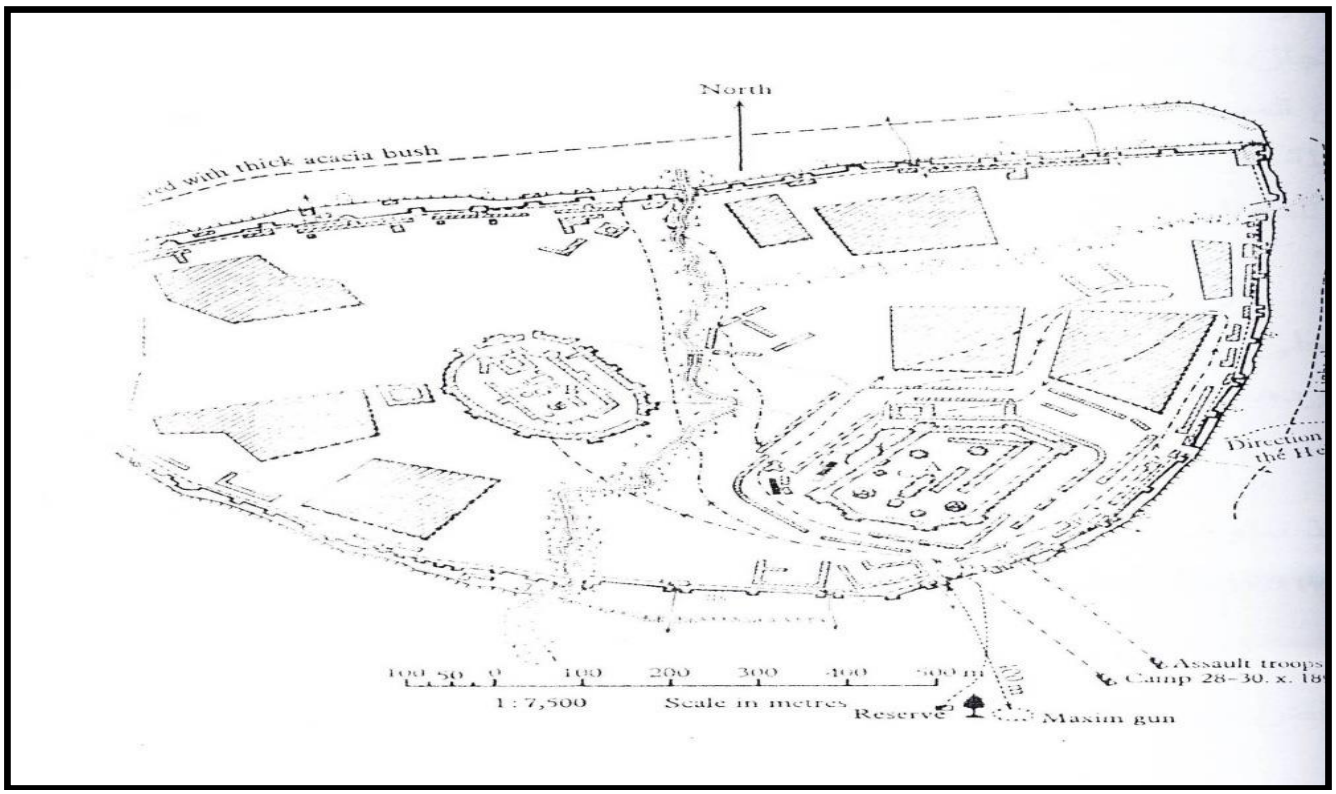

Source: Redmayne Alison, Mkwawa and the Hehe Wars, in journal of African History, IX 3, 1968, p409.

حاولت السلطات الاستعمارية الألمانية استمالة مكواوا وجره إلى الاستسلام، لكنه رفض التوقيع على اتفاق معهم، وفضل الاستمرار في مقاومتهم بكل ما يملك من إمكانيات. فقام في أوائل شهر نوفمبر حوالي 1500 محارب من الواهيهي بالهجوم على فرقة ألمانية كانت معسكرة بالقرب من مقاطعة كيلوسا Kilossa، وانتهت بالفشل بسبب نقص الذخيرة وطبيعة الأسلحة التقليدية التي هاجموا بها (Ingham,1962.p178).

وكانت القوات الألمانية بعد هذا الهجوم، قد أنشئت مركزا عسكريا بالقرب من ارينغا، لمراقبة ما تبقى من مقاتلي الواهيهي وزعيمهم مكواوا. كما عمل الألمان في أوت سنة 1896 على تفكيك وحدة قبائل الواهيهي، وتقسيمها، معتقدين أن ذلك سيؤدي إلى إضعافهم. فقسمت الواهيهي إلى جزأين، ومنحت جزء منها إلى الزعيم المنافس لمكواوا، الذي قبل الدور في الظاهر لكنه كان في الواقع، رافضا له. وقد تمكن الألمان عام 1897 من اكتشاف أمر تعاونه مع قوات الجزء الثاني من قبائل الواهيهي الموالية لمكواوا، وعليه، تم إعدامه وإخضاع المنطقة للحكم العسكري(DEUTSCHES, 1898, PP454-455) .

وفي المقابل فقد الزعيم مكواوا كل أمل في تحقيق نصر أو إطالة أمد الحرب، بعد أن خسر معظم مقاتليه، وفرضت عليه القوات الألمانية حصارا عسكريا من كل الجهات، ونفت كل أقربائه إلى الساحل. هكذا قاد مكواوا، زعيم الواهيهي، شعبه لمقاومة الاحتلال الألماني، في جهد لم يحالفه فيه التوفيق، وانتهى به الأمر إلى الانتحار في 14 جويلية 1898 مؤثرًا ذلك على الاستسلام (DEUTSCHES, 1898, P455).

وعلى الرغم من انتحاره، فإن الألمان قاموا بقطع رأسه وإرسالها إلى المتحف البيولوجي في بريمن بألمانيا. وبما أنه كان زعيمًا محترمًا ويحظى بمكانة كبيرة بين قبائل الواهيهي، فقد ظلوا محتفظين بذكراه ومقاومته الباسلة ضد الحكم الاستعماري الألماني. وبعد انهزام ألمانيا في الحرب العالمية الأولى 1914-1918، وانتهاء حكمها الاستعماري بالمنطقة من خلال قرارات عصبة الأمم القاضية بضرورة حرمان ألمانيا من مستعمراتها في إفريقيا والمحيط الهادئ وإعادة توزيعها على الحلفاء المنتصرين في إطار نظام الانتداب، قرر الحلفاء بمؤتمر الصلح في فرساي عام 1919-بعد مطالب زعماء الواهيهي المتكررة-ضرورة إعادة رأسه إلى قبائل الواهيهي لدفنها مع جثته. وقد بذلت الحكومة البريطانية جهودا كبيرة لاسترجاعها، ولم يتم العثور عليها إلا في سنة 1953 بمدينة بريمن، وإرسالها بعد ذلك إلى الواهيهي في منتصف سنة (Listowel, 1954 .1965, pp31-32)

خاتمة

بناء على ما سبق، نستنتج أن ردود الفعل التي شهدتها الفترة ما بين عامي 1888-1893، اختلفت فيها المقاومات والثورات في مدى ضيق أفقها، وتمسكها بذاتيتها الإثنية، دون أن تبـذل أي جهد لإقامة تحالفات عريضة القاعدة ومتعددة الإثنية، تكون أكثر اتساعًا في مواجهة الاستعمار. وفضلا عن ذلك، أدت الخصومات الإفريقية، في معظم الأحيان إلى تسهيل تطبيق إستراتيجية فرق تسد التي انتهجها الضباط الألمان بمهارة عالية.

ومن الأسباب الرئيسية التي دفعت بالألمان إلى استعمال واستخدام الشّدة والقسوة في إخماد الثورات والمقاومات الإفريقية، وإخضاع المنطقة للحكم الاستعماري حسب الدراسات الحديثة التي اهتمت بدراسة النظام الاستعماري الألماني، أنهم كانت تنقصهم الخبرة الإدارية لإدارة منطقة واسعة مثل شرق إفريقيا، بالإضافة إلى عدم فهمهم لعادات وتقـاليد الإفريقيين المحلية هذا من جهة، ومن جهة أخرى طبيعة قبائل شرق إفريقيا العدوانية، وميلها المستمر للحروب والصراع فيما بينها، واعتقاد بعض زعمائها، كتشابروما زعيم النغوني، ومكواوا زعيم الواهيهي، أن تدخل الرجل الأبيض في إدارة شؤونهم سيؤدي إلى انهيار مجتمعاتهم ونظمهم التقليدية الموروثة. بالإضافة إلى عوامل أخرى كاتساع مساحة المستعمرة، ومناخها الاستوائي المتميز بكثرة الغابات الكثيفة والمستنقعات وانتشار الأمراض الاستوائية .

وتجدر الإشارة هنا، أن المنطقة عرفت تاريخيا هجرة العديد من القوميات كالعرب والهنود والشيرازيين، وتضارب مصالحهم السياسية والاقتصادية مع الوافدين الجدد الأوروبيين. كما شكل نقص الإداريين والموظفين الاستعماريين الألمان، إلى جانب العدد القليل من العسكريين الذين كان معظمهم ضباط، مكلفين بأعمال إدارية إلى جانب أعمالهم العسكرية، ولهذا لجأت الإدارة الاستعمارية كما رأينا سابقا إلى الاعتماد على الموظفين السواحيليين من عقيدة وجومب وليوالي، واللجوء إلى تجنيد المرتزقة من عدة جنسيات إفريقية (عسكري) في القوات العسكرية للمستعمرة.

ومجمل القول، أنه بالرغم من انتصار الألمان في الميدان عسكرياً، وقضائهم على جميع الثورات والمقاومات الوطنية، فإن هذه المقاومات، جعلت الألمان يُعيدون النظر في سياستهم الاستعمارية التي طبقوها من قبل، وأجبرتهم على إحداث تغييرات جذرية وجوهرية على بنية نظام الحكم الاستعماري، ورسم سياسة تنمية اقتصادية واجتماعية طويلة الأمد لمستعمرة شرق إفريقيا الألمانية، أطلق عليها فترة الاستعمار العلمي.

التعليقات والشروحات

1. يقع في الحدود الجنوبية للمستعمرة، ويعتبر الحد السياسي الفاصل بين مستعمرة شرق إفريقيا الألمانية وبين مستعمرة شرق إفريقيا البرتغالية (الموزمبيق الآن)، يصب في المحيط الهندي.

2. تجدر الإشارة أن بريطانيا طالبت في هذه المعاهدة بضرورة حصولها على ممر يصل بين الكاب والقاهرة ابتداء من أوغندا عن طريق بحيرة تنجانيقا، لكن ألمانيا احتجت وعارضت هذا البند الذي تم إلغائه من المعاهدة.

3. في الإشارة إلى جزيرة **هليغولاند الصخرية** الواقعة في بحر الشمال والتي تنازلت عليها بريطانيا لصالح ألمانيا وفقا للاتفاقية الموقعة بينهم عام 1890.

4. ولد الزعيم **أبوشيري** بن سليم الحرثي سنة 1845 لأب عربي Amir ben Sultan Selim al-Harti وأم من قبائل الغالا Galla الإفريقية، كان من الأوائل الذين نزحوا إلى سواحل شرق إفريقيا، ومن الرافضين لنفوذ سلطنة زنجبار على الشريط الساحلي، بل دعا إلى استقلال مدينة باغامويو عن سلطان زنجبار. شارك في تجارة القوافل للمسافات الطويلة ووصل بتجارته إلى طابورة وأوجيجي على ضفاف بحيرة تنجانيقا، وعن طريق الأرباح المتحصل عليها اشتري مزرعة في المنطقة الواقعة شرق باجامويو، وأقام ما يشبه بنظام المزارع الكبيرة لزراعة القرنفل وقصب السكر، وقد أتاح له هذا تجميع محاربين من الرقيق الذين كانوا يعملون في مزارعه، ومن سكان الساحل الهنود

والشيرازيون الذين كانوا يتاجرون معه، أستخدمهم فيما بعد ضد الألمان. أعدمه الضابط الألماني فيسمان في مدينة بانجاني يوم 15 ديسمبر 1889(Charles,1985, PP55-80).

5. **أمين باشا (1840-1892)**: أسمه الحقيقي ادوارد شنايتزر، ولد في مدينة سليزيا Silesia البولندية من أسرة يهودية. وفي عام 1864 عندما أتم دراسة الطب في جامعة برلين، غادر إلى ألبانيا التي كانت لا تزال تحت الحكم العثماني، فاعتنق الإسلام واتخذ الاسم العثماني الدكتور خير الله أفندي. انخرط في الجيش العثماني وعمل كضابط بقسم الصحة في السودان الذي كان تحت الحكم الثنائي المصري-الانجليزي. انعزل أمين باشا مع جنوده المصريين والسودانيين جنوبا واستقر في منطقة إدلا على ضفاف بحيرة ألبرت الواقعة بالقرب من بحيرة فيكتوريا في أوغندا. ونظرا لصموده وشجاعته ومقاومته للمهديين، لقبه الخيدوي إسماعيل بالباشا عام 1886. وقد استقر في هذه المنطقة مع ما تبقى من جنوده إلى غاية أفريل 1889، حيث تمكنت الحملة التي كان يقودها ستانلي من الوصول إليه وإنقاذه. دخل بعدها في خدمة شركة شرق إفريقيا الألمانية التي كلفته باكتشاف منطقة البحيرات الكبرى تمهيدا لضمّها بمستعمرة شرق إفريقيا، ولكن القبائل الإفريقية المحلية تمكنت من القبض عليه أثناء إبحاره في نهر الكونغو وأعدمته في أواخر شهر أكتوبر 1892 ,1898 (Georg pp1-52).

6. في الواقع اتصل مكواوا بزعيمين، هما تشابروما Chabruma زعيم قبائل النغوني Ngoni الذي هزمه سنة 1882، وكان في خلاف معه، وعلى هذا الأساس رفض التحالف معه. والزعيم سيكي Siki زعيم قبائل النيامويزي Nyamwezi ورفض هو الآخر مساعدته في حالة دخوله في حرب ضد الألمان ، لأنه أخطر السلطات الألمانية باستقلال أراضيه، وعليه فضل إتباع سياسة الحياد في حالة دخول مكواوا الحرب ضدهم. راجع للمزيد من التفاصيل (Listowel, 1965, pp25-27).

قائمة المصادر والمراجع:

1- محفوظات وزارة المستعمرات الألمانية(الأرشيف) Germany-Reichskolonialamt

Bundesarchiv, Berlin-Lichterfelde (BArch)
Anlagen zu dem Reichstag-Verhandlungen:
-Anlagen zu dem Reichstag Verhandlungen, (1893-1894)Berlin Dokument Nr 48.
-Anlagen zu dem Reichstag Verhandlungen(1893-1894) Berlin, Dokument. Nr 48.
-Anlagen zu dem Reichstag-Verhandlungen, (1890-1892), Berlin, aktenstück Nr 26.
-DEUTSCHES KOLONIALBLATT, JAHR 1891, BERLIN, Volumen 2.
-DEUTSCHES KOLONIALBLATT, JAHR 1895, BERLIN, Volumen 3.
-DEUTSCHES KOLONIALBLATT, JAHR 1916, BERLIN, Volumen 27.

2- دنيس بوليم، (1974)، **الحضـارات الإفريقية**، ترجمة علي شاهين، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة.

3-Arning Wilhelm, (1942) **Deutsch Ostafrika Gestern und heute**, Berlin, Reimer Verlag Andrew & Steiner.

4-Brunschwig Henri, (1971) **Le partage De l'Afrique noire**, Cameroun, Chefferie De Bandjoun.

5- Charles-André Julien (eds), (1985) **Les Africains** in Austen R.A, **Abushiri et la lute contre la domination allemande en Tanzanie**, Tome 1, Paris, édition J.A.

6-Georg Schweitzer, (1898) Emin Pasha, His Life and Work, Vol.1, Westminster, Archibald constable and Co.

7-Hamilton G, (1957) **Princes of Zing,** London, The Rulers of Zanzibar.

8- Iliffe John, (1979) **A Modern History of Tanganyika**, Cambridge, Cambridge University Press.

9-Ingham K, (1962)**A History of East Africa**, London, Lonngmans.

10-Kimambo I.N and Temu A.J, (1969) **A History of Tanzania**, Nairobi, East African Publishing House.

11- Listowel Judith, (1965) **The making of Tanganyika**, London, Chatto and Windus.

12-Moffett J.P (1958) **Handbook of Tanganyika**, Dar Es Salam, Government Printer.

13- Oliver Roland and Mathews G, (1963) **History of East Africa**, Vol.1, London, Oxford university Press.

14- Reusch Richard, (1954) **History of East Africa**, Stuttgart, Evangel ischer Missions- verlag.

15-Seaton E. and Maliti S, (1973) **Tanzania treaty practice**, London, Oxford University Press.